

بحث بعنوان

المضامين الفكرية لجداريات الأسوار العازلة كمدخل لمواجهة العنف

**Intellectual Contents of Insulating Walls Murals As an Approach to Confront
Violence**

مقدم من

أ.م.د/ خيرية محمد عبد العزيز

أستاذ التصوير الجدارى المساعد

كلية التربية النوعية- جامعة الإسكندرية

مقدمة البحث :

ليس من الضروري أن يكون عنوان العمل الفني هو الحرية ليكون معبراً بالفعل عن الحرية، إذ أن كل عمل فني جدير بهذا الاسم هو في الواقع شاهد عليها وبرهان لها ، بل ممارسة فعلية لها - أي أنه حرية إيجابية - هذا على حين أن أشد الدساتير ونظم الحكم توسعاً في ضمان الحرية لا تكفل لنا أكثر من إزالة بعض العقبات ، ورفع بعض القيود ، وفتح بعض الأبواب⁽¹⁾ ، أما الفن فهو رسالة قديمة امتدت مئات الأجيال فهي تشبه صروح العالم الآخر ، وتصوير معالمه وكائناته، ولذلك يجب أن نلفت النظر أن الفن لم يكن في يوم من الأيام أسيراً أو خادماً ، وإنما هو باحث عن الحرية والانطلاق ، لذلك كان من الواقعي أن يكافح الفن كل الظواهر السلبية في المجتمع التي تدعو إلى تقييد الحريات والعنف والعنصرية والإضطهاد.

لقد اكتسب فن التصوير الجداري كأحد هذه الفنون أهميته من كونه نوع من أنواع التعبير الفني القديم قدم الإنسان ، فهو سجلاً رصد تطور البشرية بكل جوانبها، " وفي الوقت المعاصر لم يعد تسجيلاً لحضارات الشعوب وتجسيداً لملامح هويته الثقافية ، بل أصبح يلعب دوراً أساسياً في إحياء الثقافة البصرية، وتصحيح مفاهيم الرؤية"⁽²⁾، و تساهم الأعمال الجدارية بشكل خاص في تنمية الحس الفطري لدى الفرد، والارتقاء بالذوق الجمالي حيث إدراكها والاستمتاع بها، وتعميق الوعي الثقافي لأفرادها ، ومن أهم أدوارها أيضاً مجابهة العنصرية والتعصب والعنف والحفاظ على تضافر المجتمعات وتطورها من مبدأ الفن باحث عن الحرية الإنسانية.

لذا فالفن يمكن ان يكون له دور علاجي هام في معالجة بعض الامراض الاجتماعية مثل التعصب والعنف والعنصرية ، بعض المضامين الفكرية في الاعمال الفنية التي تساهم في نشر الوعي الاجتماعي والثقافي داخل المجتمع، فيرى (أوبنهايمر) "أن العلاج المجدي يكمن فيما يسمى برجال الذهن من العلماء والفلاسفة والساسة والأساتذة والأدباء والفنانين فعلى هؤلاء يقع ذلك الواجب العظيم الذي هو إيجاد لغة التخاطب المفقودة فيما بينهم واستخلاص الدلالات الإنسانية المشتركة من اكتشافات العلماء أو تأملات الفلاسفة أو إنتاج الأدباء وأعمال الفنانين"⁽³⁾، وعلى ذلك ترى الباحثة أن فن التصوير الجداري بدوره متاح لمشاهدة الجماهير وقد يكون سبب في أن يزيل أو يعدل بعض السلوكيات السلبية التي تؤذي المجتمع.

¹ رمسيس يونان : 2012، "دراسات في الفن"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ص104
² نرمين فتحى المصرى: 2011، "الجداريات المعاصرة وتنمية الثقافة البصرية في المجتمع المصري"، العيد المئوى لكلية الفنون الجميلة، حلوان ، مصر.

³ رمسيس يونان : 2012: المرجع السابق، ص265

خلفية البحث :

إن المشاهد أو الزائر لقاعات عرض اللوحات لمشاهدة الأعمال الفنية يمكن مشاهداتها مرة واحدة، على عكس رؤية الجداريات يشاهدها ويتأملها المشاهد أثناء ذهابه وإيابه أكثر من مرة، بالشوارع والميادين العامة على واجهات المباني أو الفنادق أو الحوائط، وتطرح العديد من الجداريات موضوعات تعبر عن تراث الشعوب وتاريخها وفكرها، فهي تحمل رسالة ثقافية فى المقام الأول ، وأخرى جمالية ، كما تعد الجداريات عملاً توثيقياً يسترجع أحداث الماضى والحاضر ويتأمل المستقبل ، نذكر جميعنا الجداريات الفرعونية والإغريقية والرومانية التى انتشرت فى مصر عبر العصور المتلاحقة.

فالأعمال الجدارية تتمتع عن غيرها من الفنون البصرية بكونها الأكثر قرباً فى مجال الرؤية ، فهى متاحة للجميع بما تفرضه طبيعة الظروف الحياتية ، حيث يتواجد العديد من الناس ويتجولون فى شوارع المدينة، وتكون لدى المشاهد الرغبة فى رؤيتها ومحاولة استيعاب لغتها التشكيلية ، حيث أن للوحات الجدارية تأثيراً إيجابياً فى نفوس المتذوقين ، فالجمهور سواء كان من أصحاب النظرة العابرة أو المتفحصه بها، قد شغلت أذهانهم فى هذه الأعمال العديد من الرؤى والأفكار التى تلعب دور مهم فى حياة البشر والارتقاء بها فى جميع المجالات ، فالفنون بشكل عام تؤثر على ثقافة و أحاسيس البشر ، وتعالج بعض الظواهر الاجتماعية الغير مرغوب فيها مثل التعصب والعنف عن طريق التنقيف البصرى الذى لا ينمو عشوائياً بل بالتدريب الواعى المستمر.

تعتبر قضايا العنصرية والتعصب فى الوقت الحالى من اهم القضايا الاجتماعية الملحة، وبشكل عام نؤمن جميعاً أن البشر ليسوا عنصريين بالوراثة تماماً، وأيضاً ليسوا جنسين (يفرقون بين الجنسين) بالوراثة، هى نتاج صراعات المصالح والرأسمالية التى ترغب فى التنازع الغير شريف على المال والسلطة مما يؤدي لبعض الأفعال العنيفة والغير مرغوب فيها.

مشكلة البحث:

لاحظت الباحثة أن الحديث عن مواجهة العنف والتعصب يسود المجالات الفنية والأوساط الثقافية ، ولاحظت أيضاً تفاعل الجمهور مع الأعمال الفنية الجدارية بما تتسم به من مضامين فكرية وأساليب أدائية ووحدات زخرفية وقيم فنية يمكن أن يكون له دور فعال فى مواجهة العنف، ومن هنا جاءت مشكلة البحث فى التساؤل الآتى:

كيف يمكن للمضامين الفكرية لجداريات الأسوار العازلة أن تكون مدخلاً جيداً ودعامة أساسية وقوية لمواجهة العنف ؟

فروض البحث:

تعتبر المضامين الفكرية لجداريات الأسوار العازلة مدخل جيد ودعامة أساسية لمواجهة العنف داخل المجتمع.

أهداف البحث:

- 1- دراسة المضامين الفكرية لجداريات الأسوار العازلة وإرتباطها بالمشكلات والقضايا السياسية للمجتمعات.
- 2- التعرف على بعض الاعمال التصويرية المعاصرة وإرتباطها بالثقافة البصرية .
- 3- تفعيل دور فن الجداريات كدعامة أساسية ضد الثقافة الأيدولوجية والعنف والتعصب فى المجتمع بشكل أكثر انتشاراً.

أهمية البحث:

- 1- إلقاء الضوء على أهمية الفنون التشكيلية (فن التصوير الجدارى) بالنسبة لمعالجة العديد من القضايا المجتمعية عامة ومواجهة العنف المجتمعى بشكل خاص.
- 2- بناء جسور معرفية من خلال التحليلات الفنية والتفسيرات العلمية الفلسفية للمضامين الفكرية والأساليب الأدائية للجداريات المعاصرة.
- 3- توجيه النظر بأهمية المضامين الفكرية فى الاعمال الفنية (التصوير الجدارى) كمدخل لتعديل السلوكيات والعادات والمعتقدات من السلبية إلى الإيجابية .

حدود البحث:

- **الحدود الموضوعية :** تتناول الدراسة مختارات من جداريات عالمية معاصرة تحمل مضامين فكرية يمكن ان تكون مدخلاً جيداً لمواجهة العنف.
- **الحدود الزمانية:** 1960 وحتى الآن.
- **الحدود المكانية:** الجدران العازلة عالمياً فى (الضفة الغربية بالقدس - برلين - ألمانيا - قبرص - بلفاست بايرلندا).

منهج البحث :

المنهج الوصفى والمنهج التحليلى .

المضامين الفكرية: Intellectual Contents:

المضمون Contant:

يعنى الموضوع أو المعنى أو الفكر الأيدولوجي ، أى أن المضمون هو تلك المعانى والأفكار الأيدولوجية التى تكون بمثابة محتوى أساسى ينعكس من خلال الشكل ، والمضمون أيضاً هو المدلول أى جوهر العمل الفنى (1) ، فالأفكار بدون مضامين تعتبر خاوية ، والرؤى بدون مدلول تعد عمياء (2).

التعريف الإجرائى للمضامين الفكرية :

المضامين الفكرية فى الاعمال الجدارية تتضمن رمز أو عدة رموز تحمل معان أو أفكار، قد يكون مضمون تلك الأفكار ظاهراً أو قد يكون مضمون مستتر وكلاهما يكمل الآخر، وعلى هذا الأساس فإنه لا يتم النظر إلى الجداريات التصويرية بوصفها شكلاً يقوم بدور فى جذب انتباه المتلقى أو إثارة اهتمامه ولكن يتم النظر إلى تكوينها وما تحمله من أفكار ومعان، أو تجسيد لمعالم أو أبعاداً فكرية فى إطار الغرض الذى يسعى إلى تحقيقه الفنان، حيث أن التصميمات المستحدثة للجداريات المعاصرة تعكس الصفات الإنسانية والقيم والقضايا والمشكلات الاجتماعية والنظم والتعاليم الدينية فى المجتمع ، كما تعكس أيضاً العادات والأعراف والتقاليد والأفكار والقضايا ومنها ما يسهم فى الحفاظ على تاريخ المجتمع وتماسكه ومستوى نمو الذوق الفنى عند الأفراد ، وكذلك منها ما يرتبط بثقافة المتلقى الذى يتأمل تلك الأعمال الجدارية التى تعبر عن حرية التعبير عن الأفكار فى اختيار المفردات الشكلية وارتباطها بالبيئة والمجتمع وما تقوم به تلك الجداريات المعاصرة فى توثيق فكر المجتمع بصورة نقدية للقضايا والمشكلات المجتمعية.

جداريات الأسوار العازلة Insulating Walls Murals:

أ- التصوير الجدارى :

إحدى فروع فن التصوير الذى يتعامل مع زخرفة الجدران والأسقف بالمنشآت المعمارية فهو يختلف فى صلبه عن جميع أشكال فنون التصوير فى كونه متصلاً اتصالاً عضوياً بفن العمارة " أى قطعة من الأعمال الفنية المرسومة أو المطبقة مباشرة على الجدار، السقف أو غيرها من الأسطح الكبيرة الدائمة، والصفة المميزة الخاصة للوحة الجدارية هي أن تدمج بانسجام العناصر المعمارية للفضاء المعين فى الصورة.(3)، ويعرف التصوير الجدارى أيضاً بأنه فرع من فروع التصوير ذو المساحات

¹ عماد فاروق راغب: 1995م، "الأسس البنائية فى مختارات من جداريات الفن المعاصر كمدخل لإثراء اللوحة الزخرفية"، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهرة، ص56

² مصطفى الرزاز: 1997م، "مقدمة كتاب الحركات الفنية منذ 1945" لإدوارد سيميث، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ص15

³ <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

والدرجات اللونية المسطحة والذي شاع قديماً بشكل خاص في زخرفة جدران المنازل والقصور وأماكن العبادة والمرافق العامة)

والرؤيا الفنية المعاصرة هي الصورة الجمالية أو الإستجابة الإنفعالية التي يعكسها الفنان من واقع عصره وتخص الفرد والمجتمع على حد سواء ، اضافة الى موقف الفنان وطرق تشكيله الجمالية لتلك الرؤية، بحيث تعكس تلك الرؤى التشكيلية قضايا مرتبطة بالعصر وتياراته وتحولاته الأسلوبية الجمالية مع قضايا موصولة بالموروث والقديم ، فهي بذلك تجربة مع المستقبل من خلال الواقع وبالعودة إلى الموروث عن طريق النزعة الابداعية الذاتية للفنان.

فالتصوير الجدارى المعاصر لفظ يرتبط بما يتم إنتاجه فى الوقت الحالى بغض النظر عن انتمائه إلى أى اتجاه أو حركة أو اسلوب، وتعبير عن التحول الإجتماعى والصناعى والعلمى الذى يصاحب وقتنا الحاضر، فمسألة الجداريات المعاصرة هي مسألة التغيير الشامل بثقافة عصرية حديثة وتبادل تلك الثقافة سواء كان ذلك فى نطاق التقنية أو الثقافة الإنسانية.

ب- التعريف الإجرائى لجداريات الأسوار العازلة:

فالتصوير الجدارى لجداريات الأسوار العازلة يعتبر فرع من فروع الفنون البصرية التي تعتمد على الرسالة البصرية في أدواته وتقنياته ووسائطه المختلفة ذات الألوان والملامس المتعددة والتي تجمع بين المساحات الفنية ذات البعدين أو الثلاثة أبعاد بغض النظر عن موضوعه سواء كان تعبيرى او تجريدي او هندسي كالفن الإسلامى مثلاً ، وعندها يوصف التصوير الجدارى بأنه المرآة التي تعكس ثقافة وحضارة الأمم والشعوب ومشكلاتها وقضاياها الاجتماعية والتي يجد فيها الفنان المساحة المكانية البصرية الأولى التي يضع عليها خطوطه وألوانه عاكساً مشاعره وأحاسيسه وأفكاره إلى الآخرين.

العنف Violence :

يتخذ العنف صوراً كثيرة تبدو في أي مكان على وجه الأرض، بدايةً من مجرد الضرب بين شخصين والذي قد يسفر عن إيذاء بدني وانتهاءً بالحرب والإبادة الجماعية التي يموت فيها ملايين الأفراد. وجدير بالذكر أن العنف لا يقتصر على العنف البدني فحسب (1)، وهو كل سلوك أو تصرف يؤدي إلى الأذى أو يهدف إليه، وقد ينتج عنه تعنيف الآخرين بأذى جسديّ، أو نفسيّ، أو لفظي، أو استهزاء، أو فرض رأيٍ أو الإستيلاء على ممتلكات... (2)

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%86%D9%81>

² فهد الطيار (2005)، العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، صفحة 77.

نبذة تاريخية عن المضامين الفكرية لفن التصوير الجداري كرسائل ثقافية :

ان التصوير الجداري من الفنون القديمة والتي بدأت مع نشأة الحضارات ، حيث يعتبر فن الجداريات من أهم الفنون التي يشهدها العالم ودائماً يمتاز بقرينه للجمهور ، وتطرح الجدارية دائماً تراث الشعوب وتاريخها وفكرها فهي تحمل رسالة ثقافية في المقام الأول وأخرى جمالية، كما تعد الجداريات عملاً توثيقياً يسترجع أحداث الماضي والحاضر ويتأمل المستقبل . نتذكر جميعنا الجداريات الفرعونية والإغريقية والرومانية.

كما تعد الجداريات سجلاً توثيقياً لكل ما يمر به من خلال حياته اليومية فقد كان يجسد كل ما يتعرض له على جدران الكهوف من مواضيع متنوعة فقد مارسه انسان الكهوف قديماً داخل كهفه بابلت الادوات المتاحة في ذلك الوقت ، تعبيراً عما يجول في خاطره ، ويشهد بذلك الكثير من الرسوم على حوائط كهوف التامبرا على خليج بسكاي شمال اسباني وكهوف اجانتا في ولاية حيدر اباد وكهوف لامادلين في فرنسا وغيرها من الاماكن ، وهكذا اخذ الفن الجداري بالارتقاء والازدهار شيئاً فشيئاً . فقد بدأ الانسان في تعلم الرسم منذ الاف السنين ، قبل ان يعرف القراءة والكتابة على جدران كهفه ، وعلى السفوح الجبلية المحيطة به ، سجلها التاريخ بمداد من ذهب لتكون شاهدة على تفوقه ونجاحه في التغلب على قسوة الحياة وان الرسوم على حوائط الكهوف كانت مغطاه بطبقات قديمة من الملاط بعضها يحتوي على مخلفات وبقايا ترجع الى ازمة معينة ، فقد ساعد ذلك على الحفاظ عليه بعيداً عن ايدي العابثين الى ان قام الاثاريون باظهارها ، فقد تمكن انسان العصر الحجري القديم من استخدام ادوات وخامات بسيطة لتنفيذ رسومه الجدارية ، فقد كان يستخدم اصابع يديه بداية في تلوين رسومه بعد غمسها في معجون من الالوان المستخلصة من الطبيعة ، ثم استخدم الفرشاة المصنوعة من شعر الحيوان او من فروع الاشجار في اعمال التلوين بعد ان تطحن حتى تصبح مسحوقاً ، ويتم مزجها ببعض الشحم الحيواني مستخدماً قرون الوعل المجوفة وعاءاً لها ، ثم يلفها حول وسطه.

وامتد هذا الاهتمام عبر حضارات الشرق الادنى كالحضارة الراقدينية والحضارة المصرية والحضارة الهندية والحضارة الصينية واليابانية والحضارات الاوربية كإيطاليا واليونان والرومان ، حتى العصور الاسلامية التي كانت على موعد مع تزيين المساكن وتزيين المساجد والاضرحة والمرابد الدينية بالتصاوير الجدارية .

فالرسوم الجدارية او النقوش الجدارية او تصاوير جدارية ولا تقتصر على الحائط الجانبي وانما تشمل عناصر البناء المعماري كالأسقف والاعمدة والاقواس والارضيات وعليه فيمكن تعريف الفن الجداري بأنه فن الرسوم المسطحة الكبيرة المنفذة على الجدران الداخلية او الخارجية وعلى السقوف وعلى الاعمدة والاقواس

والارضيات بتقنيات متعددة كتقنية الفريسكو والموزاييك والبلاط المزجج المرسوم والقماش المكبوس على الجدار والالوان الزيتية بعد خلطها بمعاجين مختلفة والمعادن بأنواعها ، والخزف والرخام والزجاج والنسيج والطباعة والخشب والكتل الاسمنتية المسلحة وهناك من يؤلف بين مجموعة من الخامات كان يستخدم النحاس والحديد الى جانب الخشب ، او لصق قصاصات من الورق على سطح القماش كما فعل بابلو بيكاسو Pablo Picasso ، او لصق قطع سميكة بارزة كما فعل روبر توكريبيا Tokarepa Roper وتعدى ذلك الى استخدام الاضاءة والصوت وربما الحركة ، وتتعدد التقنيات التي كانت تستخدم في تنفيذ التصوير الجداري والتي منها التميرا ، واستخدمت هذه الطريقة في العصور الوسطى واوائل عصر النهضة ، كما عرفها الفراعنة واستخدمت فيها مواد لاصقة مثل ، الصمغ الطبيعي ، وبياض البيض ، للتأكيد على البارز والغائر) والوان الزيت ، والالوان المائية ... الخ . وكلمة الجدار تعني لنا الحائط وهكذا بصورته المعهودة وطبيعته الصماء المتكون من الطوب والاسمنت او أي مادة انشائية اخرى ، ويكون مخصصا كحامل للرسم الجداري. (1)

لقد شهد الفن المعاصر طفرة نوعية في الخامات نتيجة للتطور والتقدم الصناعي الذي ساهم بشكل فاعل في صنع كل ما يحتاجه الانسان في حياته المختلفة حظي الفن التشكيلي عن غيره من سائر انواع الفنون بنصيب وافر من الخامات الفنية المتنوعة سواء كانت تلك الخامات قاسية ومتماسكة كالخشب والحجر، او لينة كالفخار والوان الزيت ، لتكون في مجملها خلاصة التجارب والاكتشافات الصناعية التي توصل اليها الانسان منذ نشأته .

المهام الثقافية للوحات الجدارية :

يمكن للوحة الجدارية أن تتضمن قصة أو تتناول أحد الانجازات، أو تصوّر معركة خالدة في حياة الشعوب والأمم، أو تؤرخ لحدث بارز، أو تقدم معلومة هامة، كما يمكن أن تكون عنصراً تزيينياً جمالياً بحتاً بالإضافة الى المضامين الفكرية للقضايا الاجتماعية والمشكلات الفنية ،على هذا الأساس، فإن للوحات الجدارية أصولها ومقوماتها وشروطها التي يجب أن تتوفر فيها وفي مكان وجودها، مثلها في ذلك مثل النصب التذكارية والأعمال النحتية الساكنة في مرافق المدن، والداخلة في تنظيمها، وإنسجام حجمها أو مساحتها مع الفراغ المحيط بها، وتوافق شكلها ومضمونها مع الوظيفة المنوطة بالبناء الذي احتضنها، أو المكان الذي حلت فيه، وملاءمة تقنياتها للمناخ الموجودة فيه (بحري، صحراوي، بارد، حار) وإمكانية

¹ <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=13&lcid=38637>

مشاهدتها من قبل المتلقي ببسر وسهولة، وإحاطة العين بأبعادها وتفصيلها ومضامينها الفكرية وأساليبها اللونية دون عناء. (1)

الثقافة البصرية ومقومات الإستدامة للجداريات:

من أبرز وأهم الخصائص والمقومات التي يجب أن تحملها اللوحات الجدارية، إمكانية الإحاطة بها شكلاً ومضموناً من قبل المتلقي، دون أن يضطر للتوقف وتأملها طويلاً، كما أرتبطت باللوحات الجدارية مهام ووظائف جديدة في وقتنا الحالي، منها تحريك المساحات الواسعة في جدران الأنفاق والأبنية، لاسيما القديم منها، الذي يخلق مظهرها الفارغ، نوعاً من الكآبة للعين والإحساس، ونشازاً في محيطها، ووقعاً ثقيلًا على النفس.

فقد انتقلت هذه الحالة، إلى الأبنية الجديدة الحاملة لمساحات واسعة وفارغة من أية حركة تخفف من ثقلها وتحركها، ما يستدعي وجودها في مثل هذه الواجهات، بحيث تؤدي أشكالها وزخارفها إيقاعاً بصرياً جميلاً ومحبيباً للعين والشعور، وأحياناً يمكن لهذه اللوحات أن تؤدي دوراً توجيهياً تربوياً، يعكس طبيعة المهام التي يؤديها البناء الذي يحملها، أو خارطة للمدينة أو البلدة أو المنطقة الواقعة فيها، لذلك تُعتبر اللوحات الجدارية، من الفنون الجماهيرية التي تقدم المتعة البصرية للمتلقي، متماهية بالفائدة والتوجيه والدلالة، ولأكبر عدد من الناس، وبشكل دائم، ليلاً ونهاراً، ما يجعلها لا تقل قيمة عن الأثر النصبي، وتمثيل الشوارع والساحات والحدائق، فهي جميعها تسكن بين الناس، في أماكن تواجههم الدائم، لتطالع عيونهم جيئةً وذهاباً، وفي كل الأوقات، كما انها تتميز بأنها بعيدة المدى الزمني، لذلك فإن هذه اللوحات قادرة بما تحمله من دلالات ومضامين فكرية وقيم تشكيلية وجمالية منسجمة، على إفادة الناس وإمتاعهم وتنقيفهم وتنمية أذواقهم وتعديل بعض السلوكيات السلبية، إضافة إلى تجميل المواقع الموجودة فيه بصرياً. (2)

كما تتعدد المواد والخامات والتقنيات التي تُنفذ بها اللوحات الجدارية الداخلية التي تغطي الجدران، أو الأسقف، أو الأرضيات، والجداريات الخارجية التي تُرصع واجهات الأبنية، أو تشيد مفردة في ساحة أو حديقة أو مدخل مدينة وبلدة.

كما سبق ان ذكرنا فهناك الألوان الزيتية، والفريسك، والفسيفساء، والبورسلان والسيراميك، والمينا، والقاشاني، و الزجاج والبوليستر والأكريلك، أما بالنسبة للوحات النحت البارز والغائر، فيمكن أن تنتفذ من

¹ <http://www.albayan.ae/paths/books/2010-06-12-1.254440>

² <http://www.albayan.ae/paths/books/2010-06-12-1.254440>

الحجر، والرخام، والبرونز، والاسمنت، والبوليستر، والمعادن المختلفة، وقد أثبتت هذه التقنيات كافة، جدواها في مقاومة عوامل الطبيعة المختلفة، والاحتفاظ برونقها وجمالها، والاستمرار في الحياة مئات السنين، حاملة قيمها التشكيلية والتعبيرية لأجيال وأجيال.

من جانب آخر، تُعتبر اللوحات الجدارية المنفذة بتقنية النحت البارز أو الغائر، أحد ضروب اللوحات الجدارية التي يمكن أن تشغل واجهات الأبنية أو جدران الأنفاق أو تشيد مفردة إلى جانب المنشآت المعمارية، كما يمكن أن تُرصع قاعدة تمثال أو نصب تذكاري.⁽¹⁾

ظاهرة العنف :

تعتبر ظاهرة العنف من الظواهر القديمة التي ظهرت في المجتمعات، وهي تسبب الكثير من الأضرار النفسية والجسدية على المجتمع والأفراد الموجودين فيه، وقد تطورت وتنوعت هذه الظاهرة بشكل كبير ولافت للنظر، ومما زاد من ظهورها هو انتشار منظمات حقوق الإنسان التي تقف في وجه العنف وتنبذ وتشتج المتضررين بالتحدث وعدم السكوت، وإنما أخذ حقهم من المتسبب بالعنف لهم مهما كان شكل هذا العنف أو نوعه⁽²⁾، لأن العنف هو أي ضررٍ قد يلحق بالشخص سواء كان هذا الضرر جسدياً أو معنوياً، وقد يكون الفعل واقعاً من فرد على جماعة، أو جماعة على فرد، أو فرد على فرد، أو جماعة على جماعة، فهذا الضرر قد يسبب الإعاقات الجسدية أو الأمراض النفسية التي تؤثر في قدرة الشخص على العطاء، كما إنه سلوك عمدي موجه نحو هدف، سواءً لفظي أو غير لفظي، ويتضمن مواجهة الآخرين مادياً أو معنوياً، وهو مصحوب بتعبيرات تهديدية أو أفعال ملموسة مثل الجدران العازلة.

أشكال العنف :

تتعدد أشكال العنف التي ظهرت في المجتمعات على مدار السنين، ومن هذه الأشكال:

(العنف ضد الطفل - العنف ضد المرأة - العنف الديني - العنف السياسي)

ويخصنا بالذكر العنف السياسي ويشمل إجبار الناس على اتخاذ موقف سياسي معين مع عدم الاقتناع به، ونبذ فئة سياسية وقد يصل الإجبار إلى الإساءة لها لفظاً أو فعلاً كالجدران العازلة، ولمحاربة العنف لا بد من تكاتف جميع أفراد المجتمع وخصوصاً الفنانين التشكيليين والأدباء من أجل التخلص من أشكال العنف المختلفة، فالله تعالى خلق الإنسان مكرماً لا يجوز إيقاع الأذى به مهما كانت صورته.⁽³⁾

¹ <http://www.albayan.ae/paths/books/2010-06-12-1.254440>

² <http://mawdoo3.com>

³ <http://mawdoo3.com>

ويستخدم العنف في جميع أنحاء العالم كأداة للتأثير على الآخرين، كما أنه يعتبر من الأمور التي تحظى باهتمام القانون والثقافة حيث يسعى كلاهما إلى قمع ظاهرة العنف ومنع تفشيها، وتعتبر الجداريات من أهم الأساليب التي تواجه تلك الظاهرة وتؤثر تأثيراً كبيراً على تحول السلوكيات والأفكار من السلبية إلى الإيجابية فالعنف عدة أنواع يمكن التعرف عليها فيما يلي :

أنواع العنف:

(الإيذاء البدني - الإيذاء النفسي - الإيذاء الجنسي)

اسباب العنف :

(العنف الأسري- الشعور بالنقص - الثقافة الإعلامية- انتشار البطالة بين الشباب- ضعف الفهم للدين حسب السيطرة والتملك والاحتكار والسلطة - ضعف قنوات الحوار- فقدان العقل - الحسد والحمران - النفاق -العصبية)

لا يقتصر العنف كسلوكٍ أو ظاهرةٍ على زمنٍ بذاته أو مكانٍ أو عرقٍ أو دينٍ، بل إنّ أسبابه ودواعيه مُتوّعةٌ ومُتعدّدةٌ تَظهُرُ وتتطوّرُ في مختلف الحضارات والأزمنة. كانَ ظُهُورُ العنفِ سبباً منذ النشأة الأولى للحياة الإنسانية على وجه الأرض، وكانت من مظاهره الأولى سفكُ الدماءِ وقتلُ النفس، والشاهد فيه سابقة قتلِ قابيلَ لأخيه هابيل لِداعي الحسد وضيقِ العين، فَحَصَرَ السببُ وفسَّرَ السلوك، ثمّ مع ازدياد البشريّة تعداداً وتوّعاً أصبحَ العنفُ أحدَ سماتِ المجتمعات على الصّعيدِ الفرديّ أو المجتمعي، وللتاريخ شواهد عديدة تُعرِّضُ تسلُّطَ الطبقاتِ داخلِ المجتمع الواحد أو اعتداء مجتمعيّ على آخر، ولكلِّ حالةٍ أسبابها ودواعيها، ونحن بصدد الحديث عن أسباب ودوافع سياسية التي تؤدي للعنف لأن السياسة لا مبدأ لها، فقد تؤثر على الغير لمصلحة فرد أو جماعة أو حزب أو مؤسسة وعلى حساب طرف آخر لتبين للغير أنها ترى المصلحة في ما يراه صاحب القرار، لا في ما يراه غيره من الآخرين⁽¹⁾ ويُمكن إجمال أسباب العنف في الآتي:

1- العوامل الذاتية المُسببة للعنف :

تنشأ هذه العوامل من شخصيّة الفرد وذاته؛ إذ هي انعكاساتٌ لتفاعلاتِ الذات البشريّة ومكوّناتها، ومن هذه العوامل:

- تراكمُ الشعور بالإحباط، وتدني مستوى ثقة الفرد بنفسه.
- عجزُ الفرد عن مواجهة مشاكله وحلّها والتخلُّص منها.
- انفعالاتِ المراحل العمرية، وانعكاسات البلوغ والمراهقة.

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%86%D9%81>

- نزعة التحرُّر من السُّلطة والرغبة في الاستقلالية وتحمل المسؤولية.
- ضعف مهارات التواصل، وبناء العلاقات الاجتماعية، واضطرابات الشخصية الانفعالية والنفسية.
- عقدة النَّقص والشعور بالحرمان العاطفي والفشل.
- البُعد عن الله تعالى، وضعف الوازع الديني.
- إدمان المخدرات.
- الانانية والكبر، وعدم القدرة على ضبط الدوافع العدوانية.

أضرار العنف :

تُشير منظمة الصحة العالمية في تحقيقها الخاص بالإصابات والعنف لعام 2008م إلى أنَّ عدد الوفيات الناتجة عن العنف في العالم تقعُ بحدود خمسة ملايين نسمة سنوياً، بمعدلٍ يقاربُ نسبةً تسع في المائة بين مجموع الوفياتِ كلِّ عام، وتُعادلُ هذه النسبة المرتفعةً إجمالاً نسبةً الوفياتِ المُتسببة عن أمراضِ الإيدز والملاريا والسل.

ويمكن الإشارة إلى بعض الآثار المُترتبة عن العنف، والناتجة عنه كالاتي:

- يُسهم العنف بصورة كبيرة في ظهور الأمراض النفسية، والاختلالات، والسلوكيات العدوانية، والنزعة الإجرامية.
- تشربُ المعنَّفين سلوكَ العنف كمنهجيةً ووسيلةً مشروعاً جراً تعرُّضهم له.
- تهديدُ الأمن الأسريّ، وتلاشي الاستقرار، وانعدامُ المسؤولية الأسرية، وتفكُّك روابطها.
- تهديدُ الأمن المجتمعيّ وزعزعة كيانه نتيجة تفشي العُنف كظاهرة، وتشبُّعه في مُعظم مكونات المجتمع.

العنصرية والعنف المجتمعي:

العنصرية كنوع من العنف هي تعصب فرد أو فئة من الناس لجنس أو عرق أو قبيلة أو عشيرة أو دين أو طائفة أو معتقد أو حتى لون بشرة، وإباحة قتل أو اضطهاد أو حتى ازدياد الفئات الأخرى بدون وجه حق ، أو سبب واضح سوى أنها تختلف عنه في جنسها أو عرقها أو طائفها أو لون بشرتها مثل (زنج وهنود أمريكا، القبائل العربية قبل الإسلام، فكرة الحروب الصليبية، الحركة الصهيونية، النازية، التحزب والحزبية، الصدمات العرقية والطائفية المعاصرة، مصطلح محاربة الإرهاب)، فالعنصرية موقف سلبي ظالم تجاه إنسان آخر لمجرد انتماء هذا الإنسان إلى جماعة عرقية.

فالعنصرية كنوع من العنف هي التمييز بين الناس على أساس عنصرهم أو أصلهم أو لونهم أو جهتهم ومعاملتهم على هذا الأساس مما يؤدي إلى العنف المجتمعي، ، فالإنسان العنصري هو الذي يفضل عنصره

على غيره من عناصر البشر ويتعصب له ، فالعنصرية التي تؤدي للعنف من آثار الجاهلية الأولى التي قضى عليها الإسلام وحذر من التفاخر بها والتعامل على أساسها.

نعلم جميعاً العنصرية كأحد أنواع العنف بوجهها القبيح والحديث ، فقد كانت ولا تزال من الأمراض المجتمعية التي تصيب الكيانات المجتمعية كنتيجة للغلو وعدم الوسطية (التطرف) ، وحتى نكون على بينة يجب أن نطلع على الصور النمطية والتفانيات التي يلجأ إليها العنصريين، أولئك الذين ينفون أن يكون هناك مثل هذه الصفات الموروثة(صفات جسمانية، واجتماعية، وثقافية، وغيرها)، كأساس وجود فروق من هذا النوع للتمييز العنصرى بين الناس ، فيجعلون أعراق أدنى منزلة من أعراق أخرى، أو العنصرية المنهجية ، وفى حالة المؤسسة العنصرية ، فإن مجموعات معينة قد تحرم حقوقاً أو امتيازات من حقهم لصالح مجموعة أخرى.

دور الفن التشكيلي بصفة عامة وفن الجداريات بصفة خاصة فى الحياة السياسية :

من الأدوار البارزة التي يلعبها الفن التشكيلي بصفة عامة وفن الجداريات بصفة خاصة هو دوره السياسى ، حيث إنه مرآة عاكسة للأحداث السياسية وللمفاهيم والأيدولوجيات وللعقائد بطريقة محسوسة ملموسة تبسط الأمور على رجل الشارع، ولذلك فهو سلاح خطير حينما يستغله بعض الحكام فى اتجاه آخر وفى الصحف اليومية مثل التعبيرات الكاريكاتيرية اللاذعة التي تنقد الساسة والحكام بأسلوب ساخر مصور، ومن البديهي أن خدمة الفن للسياسة لم تقتصر على القرن العشرين وإنما ترجع فى الواقع الى الحضارات القديمة، حينما كان الفن والدولة والدين شىء واحد ولذلك كان يستغل الفن لتصوير انتصارات الملوك وعقائدهم والتعبير عن الرخاء والاصلاحات ، وأتضح ذلك جلياً فى مصر القيمة فى معارك قادش وقع أيدى الاسرى وهزائم الاعداء، حيث يبدو فرعون مصر بطلاً فى عنفوانه وهو يطيح بأعدائه ، كما ان الارتباط بين الفن والسياسة كان شكلياً، حيث اشتركا فقط فى الدافع الثورى، ولكن المضامين الفكرية والفنية كانت اجتماعية وانسانية فى اساسها، كذلك التى ظهرت فى لوحات فنانيها المحليين أثناء الحرب العالمية الثانية وفى اعقابها، الذين ثاروا على الأشكال والموضوعات الأكاديمية، وهناك ثلاثة أنواع من العلاقة بين الفن والسياسة هم:

- 1- النوع الأول (فن دعائى) : وهو يرتبط ارتباطاً مباشراً بالسياسة، وفيه تكون السياسة هى الهدف وليس الفن ، ويقوم الفنان من خلال هذه العلاقة بإنتاج عدد من اللوحات يكرس فيها الحاكم ويتملقه، وغالباً ما يكون هذا النوع فى الدول الدكتاتورية المستبدة ، وربما يعمل بعض الفنانين فى هذا السياق مجبرين.
- 2- النوع الثانى (فن موضوعى جمالى) : ويكون الفنان فيه صاحب رؤية مستقلة وله رأى فيما يحدث حوله، ، يعبر بشفافية وصدق دون تأثير من أحد ويتحرك من خلال ذاته وأفكاره المستقلة، ينحاز إلى ما يشعر

به دون شروط مذهبية مقيدة لحريته ، ولا مانع من تعرف الفنان على الأفكار لكن يفضل أن يكون له فكره الخاص.

3- النوع الثالث (فن رافض أو هروبي) : وهو الذى يحبطه وقع الفعل السياسى بسبب قسوة الحروب والعنف كما حدث لفنانى الدا، والفن الفقير فى نيويورك بأمرىكا .⁽¹⁾

اللغة البصرية فى الجداريات المعاصرة :

ان العمل الجدارى بالإضافة إلى وظيفته الجمالية له وظيفة تواصلية مع المجتمع ، وتظهر الجداريات لغة التواصل من خلال جميع العناصر المكونة للعمل الفنى (الموضوع، الخطوط، الألوان،....) فاللغة البصرية التى تمد الإنسان بالرموز والعلامات والإشارات هى التى تكون بدورها همزة الوصل بين الفنان والمجتمع الذى يعيش فيه، وهى كذلك تحدد المعانى المرغوب فى توصيلها.

ويعتبر الفن عنصراً مستقلاً للتعبير عما يجول فى نفس وعقل الإنسان من مشاعر وأفكار ، فإننا لا نجد سبيلاً إلى الاتصال بين جمهور المتذوقين والفنان، إلا من خلال العمل الفنى فمجال الفن حتى نفهم أى عمل فنى يجب قيام ضرب من الحوار بين المتذوق وصاحب العمل سواء كان حواراً باطنياً أو ظاهرياً⁽²⁾، فالعمل الفنى له معنى معين، حيث يرغب الفنان فى إيصاله إلى الآخرين ، فيبدأ بأن يختار العناصر التى تكون ذلك المعنى ، على أن تعبر عن مكنون نفسه من (فرح وحزن وألم وخوف)، فالفن لغة لتوصيل القيم والرمز الفنى السفير الذى ينقل المعنى المرغوب فيه.

كذلك فإن اللغة الفنية تسجل مظاهر الحضارات البشرية من الأسطورة والعقيدة والتاريخ بكل تقلباته والعلم، وتعمل على توثيقه ليصل من جيل إلى جيل، وليس هناك ما يمنعنا من أن نقول أن كل فن هو فى جوهره صورة من صور اللغة، وبالنظر إلى فنون الشعوب يمكن قراءة لغة هذا الشعب من حيث التعبير عن العالم والأرض والصراع، كما تعبر لغة الفن عن أسلوب الحياة اليومية المميزة لمجتمع ما، ومن خلال اللغة الفنية يمكن تناقل القيم والتراث والعديد من القضايا والمشكلات الأخرى عبر الأجيال.

فالمجتمع قديماً قد نشأت لديه لغة فنية متفق على دلالاتها بين أفرادها ، وقد يرجع ذلك إلى محاكاته للطبيعة من خلال أشكاله الرمزية المستخدمة فى خدمة المجتمع بالدرجة الأولى، فأصبحت كلغة اتصال وتواصل تحمل العديد من الدلالات والمعانى التى ترشد وتوجه وتعديل من سلوكيات المجتمع، فاللغة الفنية تحمل فى كثير من الأوقات رسائل سلوكية أخلاقية ذات سمات جمالية محملة بفلسفة المجتمع، فنجد أن

¹ سامى عبد الفتاح البلشى: 2006م، "الاتجاهات الفنية والفلسفية لتصوير القضايا السياسية فى الفن العالمى المعاصر"، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ص21

² زكى نجيب محمود: "الشرق-الفنان"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ص7

اللغة البصرية الفنية لها تأثيرها الخاص على الأشخاص والمجتمعات، فالمخزون ذهنى لمعطيات البيئة الطبيعية المحيطة بالفنان، وما يتولد عنها من صور وأفكار تتجدد وتطور مع تطور المجتمع المحيط.

فالجداريات تُعد وعاء معرفى وثقافى للمجتمع ، وليست مجرد مجموعة من العلاقات الجمالية ولكن لها دلالات رمزية تؤثر على عملية التواصل وتجسد عمليات التفاعل المستمر بين الجمهور والعمل الفنى.

ويتحقق هذا الاتصال والتواصل فى الفن بين الفنان والمجتمع من خلال اللغة الفنية التى تمثلها العلامات البصرية التشكيلية التى تعبر عن خبرات الفنان ورؤيته للأشكال والأحداث والأشخاص من حوله، فهو يتبادل هذه العلامات كلغة بصرية فنية برموزها ودلالاتها مع المجتمع من حوله، وهذه اللغة تكتسب قيمتها من هذه العملية التفاعلية بين العمل الفنى والجمهور.

وإذا كان من الممكن تقسيم اللغة اللفظية إلى لغة فصحى ولغة عامية، فإنه يمكن تقسيم اللغة البصرية إلى أشكال كلاسيكية، أو تعبيرية، أو سيرالية، أو تكعيبية أو غير ذلك من أشكال تعبيرية ، وكما نتفق جميعاً على دلالة اللغة الفصحى نتفق على دلالة الشكل الكلاسيكى ، ونختلف باختلاف الزمان والمكان حول دلالة اللغة العامية وحول الأشكال التعبيرية والسيرالية والتجريدية والرمزية، كما أنها قادرة إلى حد كبير على ضمان قدر من التواصل الإيجابى بين الأفراد، ويمكن أن يستدل على ذلك بظهور اللغة البصرية قبل اللفظية، فهناك دور واضح لا يمكن إنكاره فى العصور البدائية على سبيل المثال حين كانت اللغة البصرية هى الأساس فى تبادل خبرات الأفراد وتواصلهم واتصالهم.

سمات اللغة البصرية فى الجداريات المعاصرة:

تحتوى الجداريات على لغة فنية (بصرية) تتوعت مفرداتها البصرية من حيث (الحجم والشكل واللون والملمس)، وتتمثل اللغة البصرية فى كل ما تستقبله العين من صور سواء كانت مكونة من أشكال أو رموز أو علامات أو إشارات أو تعبيرات بصرية، على أن تترجم بدلالة ومعنى لدى المستقبل لها، فيكون لديها قدرة على الاتصال والتواصل مع الآخر، وتتسم اللغة الفنية بسمات خاصة نذكر أهمها فيما يلى:

– تعددت الرموز فى اللغة الفنية البصرية للجداريات وتمت صياغتها بأساليب وطرق متنوعة أختلفت باختلاف مبدعها ومتذوقها، فقد تتفق الدلالة بينهم إذا ارتبطت بمظهر من مظاهر الطبيعة، وتختلف إذا تجردت من الارتباط بالمظهر الواقعى المرئى للإنسان ويعتبر ميدان الفنون التشكيلية من أكثر الميادين إتساعاً من حيث المحتوى الفكرى للعمل الفنى والرؤية الفنية واللغة البصرية.

– وكذلك اختلفت الرؤية الفنية والتعبيرية للجداريات المعاصرة من فنان لآخر ومن عصر لآخر وتغير دلاليًا مع مرور الزمن، فالتنوع فى دلالة الرؤية يعتمد على الترجمة العقلية لما هو مرئى، وبإختلاف

القدرات العقلية تبعاً للفروق الفردية وتبعاً للتغيرات النفسية المتعاقبة للفرد، وللقيم الجمالية المتوارثة عبر الأجيال، أو المكتسبة تبعاً للتغير الثقافي في المجتمع، فيعاد تنظيم العالم في ضوء الأعمال الفنية ، ويعاد تنظيم الأعمال الفنية في ضوء العالم .⁽¹⁾

– فاللغة البصرية للجداريات ما هي إلا نظام تعبيرى تلقائى لعلامات بصرية ورموز مرئية تستخدم لتبادل الأفكار والمشاعر بين أعضاء المجتمع الواحد فهي نظام اتصالي بين طرفين ، وإذا عجزت اللغة اللفظية عن التعبير، فإن لغة الفن التشكيلي لا تعجز أبداً، فهي لغة رمزية ناطقة بالمشاعر، وهي كذلك مرئية تساعد على التواصل مع مختلف المستويات الثقافية.

– فاللغة البصرية للجداريات من اللغات الحية التي يتفهمها كافة البشر مع اختلاف لهجاته ، فهي لغة تحمل وجهين لشيء واحد، فالوجه الأول يتمثل في اللغة المحسوسة والتي يمكن التحقق من وجودها عن طريق حواس الإنسان، والوجه الثاني يتمثل في المحتوى الفكري أو المعنوي، والذي يصعب التحقق من مصداقية دلالاته في الفكر والمشاعر الإنسانية.

– فاللغة البصرية للجداريات تتعامل مع حواس الإنسان باعتبارها لغة مكونة من مجموعة من العلامات منها ما هو محسوس ومنها ما هو معنوي، ولكن التعبير عنها والاستجابة لها تختلف من فرد لآخر ، فالتعبير عنها يستخدم كافة الأنماط التواصلية حيث يعكس الفنان خبراته البصرية وإطارها المرجعي لدلالاتها من خلال استجابته لها.

– اللغة البصرية للجداريات لها قدرة عالية على التواصل بين مختلف الشعوب، فهي توحد بين العالم من خلال اللغة البصرية النابعة من الواقع الطبيعي والاجتماعي للمجتمع العالمي والمجتمع المحلي، ولذلك فالاعمال الجدارية لها هوية عالمية تساعد على تواصل كافة الشعوب، ومع ذلك فهي تمثل هوية المجتمع النابعة منه، وكذلك هوية الفنان الذي أبدعها.

– اللغة البصرية للجداريات ما هي إلا ترجمة للخبرة الجمالية الذاتية للفنان إلى معنى ومحتوى، ثم إلى شكل مرئي بأسلوب فني على هيئة علامات بصرية يمكن فهمها من قبل الجمهور، وكذلك يمكن إدراكها بشكل جمالي فقط دون إدراك المحتوى النفسي وراء العمل الفني، والاتصال الذاتي يمكن ان يكون له هدف مباشر وهدف آخر غير مباشر ، فمجرد التعبير عن المكنونات الشعورية أو اللا شعورية بطريقة فنية هو مجرد اتصال لا هدف له إلا التواصل مع النفس أو مع الآخر، والاتصال الذاتي أيضاً يسهم في تعريف الانسان بذاته مفكراً أو متصلاً ومشاركاً الآخرين في مشاعرهم وأفكارهم ، فهو أساس إلا أن اللغة

¹ شاكر عبد الحميد: 2001م، "التفضيل الجمالي"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، عدد 267، ص 206

الفنية البصرية للجداريات لها مجموعة من المفردات التي تعتمد على العلامات (الإشارات والرموز و...).

علاقة العمل الجدارى بالمجتمع:

إن العمل الجدارى كائن يتعايش مع المجتمع والبيئة المحيطة فيتأثر بالزمان والمكان وتغيراته وتطوراته فليس هناك دليل أقوى من الفن يشير إلى مستوى تقدم المجتمع أو تأخره.

1- يهيء المجال المناسب لتحقيق الثقافة أهدافها الاجتماعية والعالمية، وإن جاز القول يمكن اعتبار الجداريات المرآة العاكسة لثقافة مجتمع وأسلوب تفكيره وأيدولوجياته، فالأعمال الفنية عامة تعكس السمة المميزة للحضارات المختلفة بما تتضمنه من نظم وقيم ودلالات لها ارتباط بطبيعة الحياة والمجتمع الذى يحويها ، فهناك العديد من الفنانين يستلهمون أعمالهم الفنية من الحضارات المجتمعية لهم، فنجدهم يبتكرون من خلالها، بهدف إعادة إحياء ثقافة أجدادهم فى نفوس الأجيال المتعاقبة.

2- يعدفن الجداريات لغة عالمية تحقق التجاوب بين الأفراد داخل المجتمع الواحد وخارجه لما تحتوى عليه من عناصر نقل الثقافة بجانبها المادى والمعنوى، وعاملاً من عوامل البناء والتغيير والتعديل فيها من خلال ما تشكله من محتويات فكرية متطورة ، بإعتبار مفرداتها البصرية والسمعية من أكثر العناصر قدرة على الانتشار.

3- فن الجداريات وحدة عضوية مثله مثل أى عمل فنى " ذلك لأن العمل الفنى وحدة عضوية تستمد من أن علاقة الرمز الفنى بمدلوله علاقة عضوية لا تفرض عليه من الخارج أو بالاصطناع وإلا تحول العمل الفنى كله إلى إشارات مصطنعة من التعبير الفنى .⁽¹⁾

الفن التشكلى فى مواجهة سياسات العنف:

كان الفن ولازال أداة جمالية نابغة من الإنسان ومن بيئته وهويته وخصوصيته التى تميزه وتميز ثقافة وطنه وانتمائه وتوثق تفاصيل التاريخ والجغرافيا للأجيال اللاحقة ،"الفنون التشكيلية المعاصرة فى جميع المجالات تساعد على ربط الرؤية بين الفرد والبيئة المحيطة به وتكسبه سلوك جمالى يكون فيه النظام عامل جوهرى.⁽²⁾

كما يعتبر الفن سلاحاً حضارياً يقف فى وجه كل معالم الإحتلال والعنصرية ومواجهة العنف والقوة المقصودة من أمة على أخرى أضعف منها، فيتحول الفن إلى التزام بيد فنان يتحدى الممارسات العنصرية والإبادة الثقافية ، لذلك فإن الأصالة الفنية لأى شعب تتمثل فى تقديم وتحقيق عمل فنى ينتمى إلى شخصية

¹ اميرة حلمى مطر : 1989م، "مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفن"، دار غريب، ط3، القاهرة، ص19.
² سلوى عبد الله: 1988، "دور المصمم الصناعى فى الارتقاء بالذوق العام"، بحث منشور بالمؤتمر العلمى الثقافى الرابع، كلية الفنون الجميلة، جامعة المنيا، مصر، ص758

متميزة عميقة بأسسها الجمالية التي تعبر عن الهويات والتقاليد والأرض التي أنبتتهم، وقد سعى عديد الفنانين التشكيليين إلى عدم إعلان استسلامهم أمام كل تهمة إبادة، وسوف نستعرض عدة أعمال مختارة لأعمال تصويرية جسدت العنف:

نستعرض بعض الاعمال الفنية التي تعتبر رداً على الاعتقاد السائد بأن الفن، وخصوصاً التشكيلي منه، شىء ترفيهي لمجرد المتعة البصرية والإمتاع ، وانه فى كثير من الاحيان يبعد تماماً عن المجتمع المحيط به ولا يمت له بصلة، ولكن الحقيقة التي أثبتتها كثير من الفنانين على مر الأزمان هي أن الفن ضرورة من ضروريات الحياة وأن فلسفة "الفن للفن" هي فلسفة ليست مطلقة، ولكن الواقع أن الفنان المبدع الحقيقي يتأثر كثيراً بما يدور حوله من ظروف اجتماعية وسياسية ، ويكون ذلك هو " المثير" لفنه وإبداعه، " وعلينا أن نتذكر لوحات مثل الجورنيكا لبيكاسو (شكل 1) ولوحة الحرية تقود الشعوب (شكل 2) للفنان الفرنسي أوجين ديلاكروا Eugène Delacroix ، وغيرها ذلك الكثير من اللوحات التي فاق تأثيرها فى الوعي البشرى ملايين الكلمات"⁽¹⁾

1- "الجورنيكا" :

لوحة الفنان العالمي بيكاسو التي أثارتها الظروف المحيطة به (شكل 1)، وعكست ما يتعلق بتطور أفكاره السياسية، كان اليوم السادس والعشرون من شهر إبريل (نيسان) عام 1937م، وهو يوم السوق فى مدينة الجورنيكا الصغيرة التي تقع فى إقليم الباسك الأسباني، فى هذا اليوم الرهيب قامت طائرات هتلر الحربية التي كانت فى خدمة الجنرال فرانكو وحزب الكتائب أثناء الحرب الأهلية الأسبانية، بقصف المدينة الوادعة التي خلت من الرجال لأنهم كانوا جميعاً فى الجبهة، ولم يبق فيها إلا النساء والأطفال والشيوخ وبعض المدافعين عن المدينة، وقد استمر هذا القصف الوحشى لمدة ثلاث ساعات ونصف بحيث سويت المدينة بالأرض.

¹ شاكر عبد الحميد: 2004م، "عصر الصورة الإيجابية والسلبية"، عالم المعرفة، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، عدد(311)، الكويت، ص13



شكل 1 : الجورنيكا (Guernica) ،بابلو بيكاسو، زيت على توال، 350.5سم*782.3سم، 1937، محفوظة في the collection of Museo Reina Sofia, Madrid, Spain.⁽¹⁾

وقد كان الغرض الأساسي من هذا القصف هو اختبار الآثار التدميرية الناتجة عن نوع جديد من القنابل الحارقة شديدة الانفجار على السكان المدنيين، كما بدأ بيكاسو العمل على الفور بأنفعال شديد مع الحدث ، فرسم في أول مايو (إسكتشاً) تخطيطياً أولاً يحتوى على الملامح الرئيسية للوحة النهائية ، إلا أنه كان مجرد خطوط غامضة غير واضحة المعالم ، وقد استمر ذلك شهراً كاملاً من العمل المضنى منذ بداية الرسم الأولى وحتى اكتمال اللوحة.

كان بيكاسو حين شرع في رسم الجورنيكا قد ألقى جانباً ، وهو منغمر بموجة قوية من الانفعال الذي ثار من أعماق أعماقه بكل ما هو متعارف عليه من وسائل ومبادئ تقليدية كالموضوع أو المحاكاة والمنظور، والتلخيص أو التركيز، فقد هجر بيكاسو كل ما في جعبة الفنان التقليدي من حيل فنية حتى اللون نفسه رفضه عن عمد حتى لا تتقص مكانته شيئاً من مضمون اللوحة أو تلطف من حدة الإيقاع الدرامي لها، فلا شيء أمامنا سوى الألوان السوداء والبيضاء والرمادية التي تتشابك معاً في ضجة وصخب منظم ومنهجي، فالأشكال قد حررت من مظهرها التقليدي بينما ظلت تحتفظ بكل قيمتها الرمزية المكتسبة، فوحشية الحرب وجورها يظهران لنا عن طريق الوجوه الملثوية والأفواه الفاعرة والطير التي تتأوه من أعماق قلبها والحصان الذي يصل من شدة الفزع، والأجساد التي تهوى تحت أقدام الوحش، وقد أثبت التاريخ أن بيكاسو كان على حق، فقد جعل من هذه اللوحة العظيمة شاهداً متوقداً ينضح بالألم ضد القوة العدوانية البربرية في أي مكان، ولذا فإن هذه اللوحة تحمل تحذيراً للجنس البشري كله ضد الاندفاعات المجنونة التي أطلقت قوى الظلام لتعيش في الأرض فساداً، وظلت الجورنيكا بإعتبارها صرخة الأرض الثائرة التي تطلب الانتقام حتى الآن ، رمزاً لذلك المعنى، ولم تفقد أبداً شيئاً من قوتها.

(1)Lois Fichner – Rathus: 2013, "Understanding Art", 10th edition, International edition, The College of New Jersey, U.S.A, P.483

2- لوحة الحرية تقود الشعوب :

ترك الفنان الفرنسي أوجين ديلاكروا Eugène Delacroix أثر يلهب حمس كل من رآه (شكل 2)، حيث تتضمنت تلك اللوحة العديد من المضامين الفكرية لمواجهة العنف حيث جسد فرنسا على شكل امرأة تحمل العلم الفرنسي وتتقدم الخطى غير عابئة بأشلاء الذين يقفون في طريقها في جو كله تكسير للقيود، ان الصورة ما زالت باقية في متحف اللوفر بباريس رمزاً لتلك الحقبة من حياة الشعب الفرنسي حين ثار على الطغاه في سبيل حريته، وتعتبر هذه اللوحة أعظم عمل فني في المذهب الرومنسي الحديث في ذلك الوقت ، فلقد صور ديلاكروا بقوة الاقناع بالواقع ، وعبر عن احتدام الصراع ومرارة الضياع، والاحتفال بانتصار الانتفاضة الثورية الشعبية والمعالجة اللونية والظلية في اللوحة تقوم على اساس العلاقات المتناقضة مع الشدة المتزايدة للون.



شكل 2: الحرية تقود الشعوب - ديلاكروا - زيت على قماش - 260*325سم - متحف اللوفر - باريس - 1830⁽¹⁾

3- نابليون في ساحة المعركة :

صور الفنان جون جروس Antoine Jean Gros بصدق ساحة القتال (شكل 3) المغطاه بالثلج تحت سماء غائمة تحجبها ادخنة محرقة ، كما ان مجموعة القتلى المطمورين بالثلج من الجنود ، يشغلون مكانة الصدارة في اللوحة، وقد صورهم الفنان بقوة تجبر المشاهد للتطلع اليها ، قبل اى شىء اخر باللوحة، وتزاحم جماعة اركان الحرب التي تحيط بالامبراطور تبدو في مظهر فخم، اما مكانتهم في العمل فكانت في المستوى الثانوى بالنسبة لإدراك المشاهد.

¹ <http://www.marafea.org/sitepicture/2000000001072006.jpg>



شكل 3: نابليون فى ساحة المعركة - جون أنطوان جروس-زيت على قماش - 521*784 - متحف اللوفر-1808 (1)

ويتضح مما سبق ان دائما ما كانت البيئة والمجتمع ذات دور اساسى فى الهام الفنانين والمفكرين فى اعمالهم الفنية التى تصطبغ بصبغة الحياة التى يعيش فيها والاحداث التى مرت عليه او على مجتمعه وشعبه.

مضامين فكرية لجداريات الأسوار العازلة :

1- جداريات الفصل العنصرى بين الضفة الغربية وإسرائيل :

يُعد جدار الفصل العنصرى بالأراضى الفلسطينية المحتلة (من جهة الفلسطينيين) أو الحاجز الأمنى (من جهة الإسرائيليين)، عبارة عن جدار طويل تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية قرب الخط الأخضر وتدعى أنه لمنع دخول سكان الضفة الغربية الفلسطينيين إلى الأراضى المحتلة أو المستوطنات الإسرائيلية القريبة من الخط الأخضر بينما يقول الفلسطينيون أنه محاولة إسرائيلية لإعاقة حياة السكان الفلسطينيين أو ضم أراض من الضفة الغربية إلى إسرائيل. يتشكل هذا الجدار من سياجات وطرق دوريات، وفي المناطق المأهولة بكثافة مثل منطقة المثلث أو منطقة القدس تم نصب أسوار بدلا من السياجات، بدأ بناء الجدار في 2002 في ظل انتفاضة الأقصى وفي نهاية عام 2006 بلغ طوله 402 كم، ويمر بمسار متعرج حيث يحيط معظم أراضي الضفة الغربية.(2)

ويعتبر جدار الفصل العنصرى من الجدران الشهيرة التى واجهت استهجاناً عالمياً واسعاً، كما كثرت النداءات التى تطالب بهدمه ودشنت جماعات حقوقية حملات للفت أنظار العالم إليه وقامت المنظمات الإنسانية بالتعاون مع النشطاء والفنانين فى تنفيذ أعمال فنية احتجاجاً على وجوده فى العديد من المدن

¹ <http://www.art.gov.sa/imgcache31/18191.imgcache>

² <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

الفلسطينية ، كما تعد فلسطين منذ الانتفاضة الأولى عام 1987 من أوفر دول الشرق الأوسط حظاً في عدد الرسوم الحائطية التي تعد بديلاً للبت الحى للأحداث وكرد فعل وثورة على ما يمثله الجدار وعلى الصمت الدولي تجاه ما يحدث هناك.

جدير بالذكر ان الأعمال الفنية على الجدار العازل جاءت محتوية على مئات من الرسوم والعبارات التي رسمت وكتبت على يد مواطنين فلسطينيين أو على يد نشطاء حقوقيين وفنانين أجانب من مختلف الجنسيات والتوجهات الفنية واحتوت على العديد من المضامين الفكرية أرادوا بها كسر الحصار وتقديم الدعم للعائلات وحثهم على التمسك بالحياة رغم صعوبة الظروف المعيشة هناك ، كما تنوعت الأعمال الفنية بتنوع الفنانين ، وقد صور بعضها وروداً وشموساً وأشجاراً وطيوراً مغردة لتمنح الأمل للأطفال الصغار ، بينما صور بعضها الآخر مظاهر العنف والعنصرية والمواجهات التي تحدث بين الجانبين وكان الهدف الأسمى من تلك الرسومات هو هزيمة الجدار وإدانتها والانتصار عليه وإعتبره جريمة نكراء في حق الإنسانية يجب أن يتصدى لها كل صاحب كرامة وشرف، وبالتالي أجمعت أصوات وأيدى الفنانين من كل مكان منشدة أغنية الصمود والتحدى التي تحط من قدر الجدار وتلعنه وتتغنى بالاتحاد والقوة وتقدم الدعم المعنوى للشعب الأعزل الأغر من خلال رسوماتهم التي تتميز بالبساطة في الأساليب الأدائية وقوة التعبير وغناها بالتفاصيل والبعد عن الواقعية المفرطة وبتضخيم الجسم الإنساني واستخدام القليل من الألوان المعبرة والتركيز على اللون الأبيض والأحمر والأسود، كما حملت موضوعاتهم مضامين فكرية ورسائل سريعة ومباشرة ضد العنف والتعصب والعنصرية على الرغم من ان بعض الحكومات تعتبره نوعاً من التخريب والتشويه المتعمد ، بينما يراه الفنانون وسيلتهم الأفضل والأسرع لتناول الموضوعات المحرمة سياسياً .

ومن ثم فإن الفن التشكيلي الفلسطيني بكل تجاربه يُعد سرداً بصرياً إنسانياً ينفرد في أسلوبه ومناخ وطرق وظروف تقديمه ، التي لا تختلف عن طبيعته ما عاشه الفلسطيني ويعايشه في أرضه ومحيطه ومنطقته النازفة مما منح فنه التشكيلي وكل الفنون في فلسطين ميزة، فالفنان الفلسطيني إنسان لم يستطع الحياة بمعزل عن قضيته التي انطلقت باحتلال واغتصاب وسرقة أرض، فهذا الشعب في التجارب السياسية والاجتماعية لم يغفله الفن التشكيلي الفلسطيني فقد سر به بطريقة استثنائية منفردة في كل مميزات العمارة التصويرية وذاكرة المكان البصرية وحصاد المخيلة الممزوجة واقعاً وحلماً وذاكرة وانتماء ، اتسع المجال للتعبير شكلاً ومضموناً وفلسفةً وجمالاً وأسلوباً ، أختصر الصراع الدامى جمالاً فنياً ، فتأسست ابتكارات فنية جديدة وفتت بين المعايير السياسية والثقافية والتراثية والهوية الذاتية انطلقت من مدارس عالمية في الفن لكنها لم تكف بتقليد جاف بل اندمجت في اليوميات والذاكرة العسية على النسيان، لتنبثق مع كل خصوصياتها، تجريبياً ، تعبيرياً، تكعيبياً ، وسيرالياً ويظهر ذلك على الجدار العازل أو جدار الفصل العنصرى بين الضفة

الغربية وإسرائيل كما في (شكل4) و(شكل5) و(شكل6) ، إضافة إلى فنون السجون والمعتقلات والفن الساذج والعصامي وفن الملصقات ، معتمدة على خامات مختلفة مائية ، زيتية، قماش ، تطريز ، نسيج ، وكذلك اعتماد التقنيات الحديثة مثل الجرافيك والتركيب الضوئي.

ويعتبر الفنان البريطاني بانكسي(*)، هو أبرز من قدم ما تنطوي عليه الأحداث السياسية والاجتماعية حول العالم من كوميديا سوداء، حيث تميزت معظم أعماله بالنقد الساخر للحداثة والعولمة والرأسمالية ومناهضة الإمبريالية، كما وجه اهتمامه إلى الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي ، ونجح في تغيير وجهة النظر عن رسوم الشارع، من مجرد كونها أعمال تخريبية إلى تثمينها كقطع فنية مبهرة، وأصبح بانكسي ملهماً للكثير من فناني الشوارع حول العالم، الذين تحمل أعمالهم رسائل سياسية وثورية، وكان على رأس ما قام به هو زيارته إلى غزة عقب الحرب الأخيرة عام 2014، حيث أصر على الوصول إلى هناك عبر الأنفاق، ورسم أعماله المبهجة على الجدران كما في (شكل8) وهي تمثل رسم جرافيتي لفتحة في جدار الفصل العنصرى تظهر للمشاهد وكأن شاطئاً جميلاً يمتد خلفه ، ولم يكتفى بالرسم على الجدران بل امتدت رسوماته أيضاً على أبواب البيوت المهدامة، كما في لوحة القطة (شكل9) بما تحمله من مضامين فكرية تجسدت في شكل قطة جميلة تلهو بكرة من الحطام الحديدي -من ركام حقيقي لأحد البيوت- لعدم وجود شيء آخر تلعب به في هذه المدينة، وأخبر بانكسي صاحب البيت المهدم -الذي أحاط الرسم بالأخشاب حفاظاً عليه- أن القطة ترمز للحق في الحياة، إضافة إلى رسمه لأطفالاً يتأرجحون حول برج مراقبة (شكل10)، وكتب تعليقاً عليها : " عادة ما توصف غزة بأنها أكبر سجن مفتوح في العالم، إذ لا يسمح لأحد بمغادرتها ، لكن ذلك لا يعتبر إنصافاً للسجون ، فعادة ما تنقطع الكهرباء ومياه الشرب في غزة بشكل عشوائي ويومي ". (1)

*بانكسي (Banksy): فنان بريطاني من مواليد بريستول عام 1974، قد انتشرت أعماله ولمع نجمه في أواخر التسعينيات، بانكسي هو لقب مشهور لرسام جرافيتي مجهول الهوية يستخدم رسوماته كوسيلة للتعبير والسخرية على الواقع وينتشر فنه حول العالم، وبالرغم من ان هوية بانكسي مجهولة حتى الآن الا انه يعتبر واحد من اشهر الفنانين اليوم، كما تعتبر رسومات الجرافيتي لدى المجتمعات أنها عمل تخريبي تشوه الأماكن العامة، إلا أن بانكسي استطاع استخدامها لإيصال رسائل سياسية واجتماعية مهمة ليعتبر أحد أشكال الفن الحديث، كما حصل بانكسي على جائزة أعظم فنان يعيش في بريطانيا عام 2007... وكما كان متوقعا لم يحضر الفنان لاستلامها لكي لا يكشف عن هويته.. <http://banksy.co.uk>

¹ <http://banksy.co.uk>

جدول 1: جداريات على جدار الفصل العنصري الإسرائيلي بمنطقة رأس كبسة في بلدة
أبوديس في محافظة القدس



شكل 5: جرافيتي يصور المقاتلة ليلي خالد وعبارة "لا تنسوا الجهاد" على الجدار الفاصل بالضفة الغربية (1)



شكل 4: جرافيتي للإنتفاضة الفلسطينية على الجدار الفاصل بالضفة الغربية ومحاكاة للوحة الحرية تقود الشعوب (2)



شكل 7: الجدار الفاصل بالضفة الغربية (3)



شكل 6: الجدار الفاصل بالضفة الغربية (4)

¹ <https://www.babonej.com/data/uploads/images/xapartheid-laila-khaled.jpg.pagespeed.ic.N2MeXkb0LI.jpg>

² <https://www.babonej.com/data/uploads/images/xapartheid-wall.jpg.pagespeed.ic.9CyebHjASV.jpg>

³ <http://www.traidnt.net/vb/images/imgcache/2009/10/2709.jpg>

⁴ <http://www.alquds.com/articles/1489393380273907700/>

	
<p>شكل 9: جرافيتي لقطعة تلعب بكرة معدن، للفنان بانسكي⁽¹⁾</p>	<p>شكل 8 : جرافيتي فتحة في الجدار الفاصل بين الضفة الغربية وإسرائيل تظهر للمشاهد وكأن شاطئاً جميلاً يمتد خلفه، للفنان بانسكي⁽²⁾</p>
	
	<p>شكل 10: أطفالاً يتأرجحون حول برج مراقبة ، للفنان بانسكي، 2005⁽³⁾</p>

2- جداريات الفصل العنصرى بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية :

يعتبر (حائط برلين Berlin Wall) الذى سقط فى 1989م من أشهر الحوائط الفاصلة التى عرفها العالم ، حيث كان جدارا طويلا يفصل شطري برلين الشرقي والغربي والمناطق المحيطة في ألمانيا الشرقية (شكل 11)، ولقد كان الغرض منه تحجيم المرور بين برلين الغربية وألمانيا الشرقية، وبدأ بناؤه فى 13

¹ <http://www.al-ayyam.ps/files/image/thumb/20170501083349.jpg>

² <https://www.alaraby.co.uk/culture>

³ <http://www.farfesh.com/Display.asp?catID=119&mainCatID=117&sID=166718>

أغسطس 1961، وجرى تحصينه على مدار الزمن ولكن تم فتحه في 9 نوفمبر 1989 وبلغ ارتفاعه ٣,٦ م⁽¹⁾، ويعد أحد أهم الجدران التي كانت مسرحاً للعديد من الأعمال التي صورها فنانون وهواه احتجاجاً على الفصل المتعسف وعزل بعض الشعب عن بعضه، وقد بنى بطول ثمانية وعشرين ميلاً في عام 1961م عن طريق الجمهورية الألمانية الديمقراطية لمنع الألمان في الشرق من الهروب من الحكم السوفييتي، وكانت ألمانيا في عام 1945م، قد قسمت إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الغربية) في المناطق المحتلة من قبل الولايات الأمريكية المتحدة، والمملكة المتحدة وفرنسا، بينما قامت جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) بعد ذلك في المنطقة المحتلة من قبل السوفييت، وفي ذلك الحقبه بدأت الحرب الباردة بين المعسكر الاشتراكي الشرقي والغرب الرأسمالي .

فلقد جاءت الأعمال الفنية على الجدار الأسمنتي لتحطمه معنوياً وتدعو إلى سقوطه ، ولا تزال بعض أجزاء من الجدار موجودة حتى الآن وعليها رسوم وكتابات تحمل مضامين فكرية تدعو للحرية والأمل **(شكل 13)**، وذلك على الجانب الغربي منه، وبعد السقوط تم استدعاء عدد من الفنانين العالميين للتعبير عن ذلك الحدث الكبير على الأجزاء المتبقية ، ولقد ناضل الفنانون من أجل إضفاء الروح عليه كجزء من التاريخ ورصد أول حالة فصل ثقافي وحياتي لمجتمع بأكمله، وقد صرح الفنانون بأن الرسم على الحائط جعلهم يشعرون بأنهم أقوى منه، وقد قال أحدهم " إن الحائط لا يمكن تجميله لأنه حاجز قاتل ، يقبع كالوحش الذي ينتظر فريسته ولن تجمله أطنان من الألوان" **(شكل 14)**، وهو يرى أن أجزاء الحائط المتبقية منه ما هي إلا دليل على أن الحرية تكتسب ولا تمنح وأنها ليست منحة من السماء ، وإنه يجب أن نحارب كل حوائط الفصل في العالم ، فالرسم عليها هو في الواقع دعوة إلى اسقاطها، وكان الرسم على حائط برلين نوعاً من الفعل السياسي والعمل الثوري والثقافي أيضاً، نظراً لتوسطه مركز المدينة ، فكان كالمعرض الفني المفتوح والملتقى الثقافي الذي يتحدث فيه الفنانون مع الناس، وجاءت الرسوم عليه بألوان قوية وطابع تجريدي، كما كتبت عليه بعض العبارات المناهضة و الأشعار الرنانة التي تتحدى الحائط البغيض.

وبنهاية السبعينيات بدأت تظهر موجة جديدة من فناني الجرافيتي الذين قصدوا الجدار حاملين معهم أفكاراً وتقنيات طازجة وجديدة كأسلوب الرسم المكرر "الاستنسل" والرسم باستخدام ببخاخات الطلاء (الاسبريهات) **(شكل 14)** وظلت الرسوم تتطور على مدار السنوات ليصبح المشهد في أواخر الثمانينات وبالتحديد في أعقاب انهيار أجزاء كبيرة من الجدار، بياض في الشرق، وغاية من الألوان والأفكار والأحاسيس في الغرب، فكان الهدف الأول للفنانين بعد الوحدة تأكيد إنتصار إرادة الحرية على إرادة القمع والخوف وتحويل الأجزاء الباقية من الجدار في الجانب الشرقي إلى معرض مفتوح لرسوم الجرافيتي ، يعتبر

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

"معرض الجهة الشرقية" آخر بقايا جدار برلين (شكل 16)، التي بقيت في موقعها التاريخي حتى الآن أو بالقرب منه، ففي أعقاب إنهيار جدار برلين اجتمع 118 فناناً من 21 دولة في مبادرة جمعت ما بين فنانين من الجانب الغربي والشرقي لرسم نحو 100 جدارية على مساحة بيضاء بطول 1.3 كيلومتراً كان محظوراً الاقتراب منها قبل أشهر قليلة، ورسمت جميع اللوحات على هذا الجانب عام 1990 وعبرت جميعها عما حدث قبيل وخلال وبعد انهيار الجدار، لتتحول تلك اللوحات لاحقاً إلى مزار سياحي عالمي، ولم تكن تلك هي الأجزاء الوحيدة التي قصدها فنانون الجرافيتي من الجدار إلا أنها تبقى الأكثر شهرة، تم افتتاح "معرض الجهة الشرقية" للجمهور في 28 سبتمبر 1990، واعتمد هذا الجزء من الجدار في نوفمبر 1991 كمنصب تاريخي رسمياً.

ورغم أهمية الأعمال الفنية على جدار برلين إلا أن السلطات لم تكن تتخذ منها موقف المحققي بها على طول الخط، إذ عانى الفنانون في المانيا الموحدة في بعض الأحيان من تجريم أعمالهم على الجدران بدعوى أنها لا تمت للفن بصله، أو أنها تشوه المنظر الجمالي، كما تعرض جدار برلين نفسه في المواقع التي كانت في أوائل التسعينيات تزخر بروح الأمل والمستقبل الواعد الحر، إلى عدة محاولات متعمدة وغير ذلك أدت إلى تدمير أجزاء منه، ففي يوليو 2006 قررت السلطات إزاحة المعرض قليلاً نحو الغرب بموازاة الموقع الأصلي للجدار، كما تقرر إزالة نحو 23 متراً من الجدار عام 2013 لتحل محلها مجموعة من المباني الفارضة وهو ما قوبل باحتجاجات نتج عنها تأجيل عمليات الهدم لعدة أشهر، دون أن تلغيها تماماً، كما تعرضت اللوحات على مساحة تشمل ثلثي الجدار للتدمير وهو ما دعى لمبادرة للترميم عام 2000، أعقبها مشروع آخر للترميم عام 2008 بدء تنفيذه في العام 2009.⁽¹⁾ ونقل أجزاء أخرى منه للدول المجاورة مثل جزء من الجدار تم نقله أمام فندق "مين ستريت ستیشن" في لاس فيغاس (شكل 15).

¹ <http://hadarat.ahram.org.eg/>

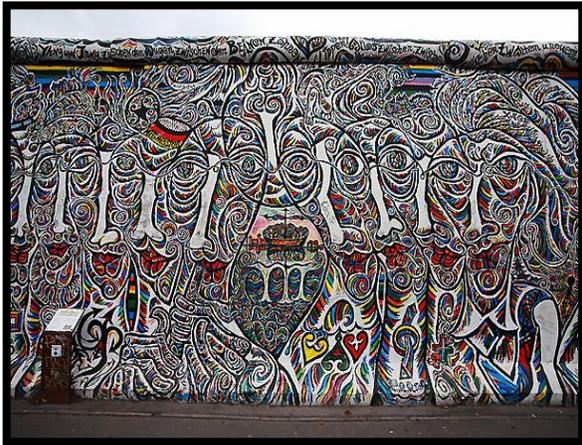
جدول 2: جداريات الفصل العنصرى بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية (حائط برلين Berlin Wall)



شكل 12: حائط برلين، شرق برلين، 1987م (2)



شكل 11: صورة لحائط برلين، برلين كريوزبرغ، 1986. (1)



شكل 14: حائط برلين 1990م (4)



شكل 13: حائط برلين، 1989م (3)

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki>

² http://www.trekearth.com/gallery/Europe/Germany/East/Berlin/West_Berlin/photo1058329.htm

³ http://www.ppp.ps/ar_page.php?id=13a56f2y20600562Y13a56f2

⁴ http://www.demuthphoto.com/blog/wp-content/uploads/2013/11/berlin_281013_145.jpg



شكل 16: لوحة للشعب الألماني وهو يقف خلف الجدار (2)



شكل 15 : جزء من الجدار أمام فندق "مين ستريت ستيشن
" في لاس فيغاس (1)

3- جداريات الجدار الفاصل بين قبرص اليونانية وقبرص التركية أو ما يسمى (بالخط الأخضر) :

نتيجة لتوترات وصراعات دامية طالقت لعقود من الزمن بين اليونانيين والأتراك، تم تقسيم جزيرة قبرص عام 1974، ويمتد ما يُسمى بالخط الأخضر (شكل 17) و(شكل 18) الذي يقسم شطري الجزيرة، على مسافة تبلغ قرابة 180 كيلومتراً، ويمر وسط العاصمة المشتركة "نيقوسيا" التي تعد آخر عاصمة مقسمة في العالم بعد انهيار سور برلين، وكانت جزيرة قبرص قد حظيت باستقلالها من بريطانيا عام 1960، ونشبت منذ الأيام الأولى خلافات بين الأكثرية اليونانية والأقلية التركية في الجزيرة، ودارا معظم الخلافات في السنوات الأولى بعد الاستقلال عن تقاسم السلطة بين اليونانيين والأتراك، وبعد أن غيرت الأكثرية اليونانية الدستور في 1963 من طرف واحد بزعم أن حق الاعتراض الذي منح للأتراك على قرارات من السلطة يفرضي إلى إصابة الجزيرة بالشلل، زاد التوتر وأفضى إلى مواجهات عنيفة ، وفشلت محاولات توحيد الجزيرة مرتين في سبعينيات القرن الماضي، وفي 1983 أعلن الأتراك القبارصة الاستقلال من طرف واحد، واعترفت به تركيا وحدها منذ ذلك الحين⁽³⁾، فأصبحت قبرص مقسمة منذ التدخل العسكري التركي في الشمال عام 1974 إثر انقلاب نفذه قوميون قبارصة يونانيون في الجنوب للاحاق قبرص باليونان، ما أدى عام 1983 الى قيام "جمهورية شمال قبرص التركية" المعلنه من طرف واحد والتي لا تعترف بها سوى انقرة، وفي مارس 2007 هدمت السلطات القبرصية - اليونانية الجدار الفاصل بين القطاعين الجنوبي والشمالي، وأقامت

¹ <http://abunawaf.com/wp-content/uploads/2014/11/%D8%AC%D8%AF%D8%A7%D8%B1-%D8%A8%D8%B1%D9%84%D9%8A%D9%861.jpg>

² <https://thumbs.dreamstime.com/z/berlin-wall-east-side-gallery-graffiti-germany-street-art-paintings-called-line-km-long-section-berliner-mauer-55412168.jp>

³ مقال صحفى بتاريخ 19 فبراير 2017، على الرابط التالي <http://www.noonpost.org/content/16717>

مكانه حاجزاً حديداً بعد سنتين على هدم الجدار من الجانب القبرصي - التركي، ويشير هذا الحدث الذي يحمل دلالات رمزية ومضامين فكرية كبرى (شكل 17) الى تغيير في الاجواء السياسية بعد اربع سنوات بقيت خلالها عملية السلام مشلولة في قبرص، وبعد سنوات من تعثر المحادثات، احيا انتخاب الرئيس الشيوعي ديميتريس خريستوفياس في فبراير الماضي، الامل بالتوصل الى حل تفاوضي لاعادة توحيد الجزيرة المتوسطية.(1)



4- جداريات الجدار العازل بين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا بلفاست (Belfast peace walls):

نتيجة للحرب الطائفية التي استعرت بين الكاثوليك و البروتستانت قامت الحكومة البريطانية باقامة جدار عازل يفصل بين الطائفتين في ايرلندا في مدينة بلفاست وسمي الجدار بجدار السلام (Belfast Peace wall) و الملاحظ رغم توقف الحرب بين الجيش الايرلندي و القوات البريطانية الا ان عملية بناء الجدران ازدادت ووصلت الي 80 جدار عازل يفصل بين الطائفتين الكاثوليكية و البروتستانتية الموالية لبريطانية(4)، ففي بلفاست الشرقية معقل القوى البروتستانتية المناصرة للوحدة السياسية بين ايرلندا وبريطانيا، تذكر واجهات ابنية عدة بجو العنف الذي ساد بين عامي 1969 و 1998، فبعد فن الحرب، حان دور فن السلام في بلفاست، التي يسعى فنانون الشارع فيها إلى طي صفحة الرسوم الجدارية السياسية التي نقلت على

¹ مقال صحفى بتاريخ 2008/4/4، على الرابط التالى : http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat

² <http://www.noonpost.org/content/16717>

³ <http://www.noonpost.org/content/16717>

⁴ <http://www.gulfeyes.net/art/1340914.html>

مدى عقود مشاهد تحمل مضامين فكرية تعبر عن النزاع الدامي في أيرلندا الشمالية، والتعبير عن مواضيع أقل مأسوية كما في (الأشكال 19،20،21،22،23،24)، وقال رسام الشارع (غلين مولوي) أمام مجموعة من عشرة رسوم بورترية لنجوم أنجزها على جدار في وسط العاصمة لوكالة الصحافة الفرنسية "كبرت على رؤية هذه الجداريات السياسية، وقلت في نفسي إنه عليّ القيام بما يلزم لتغيير وجه المدينة بالكامل، لكي تصبح مختلفة عما كان عليه الوضع خلال الحرب"⁽¹⁾ وهو يعتبر أكبر جدار سلام في بلفاست يمتد على طول طريق كوبار Cupar Way، وبالتالي فإن فن الجداريات وخصوصا فن الشارع يمثل انعكاسا للأكثرية الصامتة، تلك التي لا تصوت لأنها سئمت من الطاقم السياسي الفاشل ومن استبداد أقلية صغيرة مهووسة بالانقسامات وبالدين، حيث تم إنجاز أكثر من مئة عمل على يد فنانيين من أيرلندا الشمالية وجمهورية أيرلندا وبريطانيا وأوروبا.

جدول 3: جداريات الجدار العازل بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا بلفاست (Belfast peace walls)



شكل 20: جرافيتي على الجدار العازل ببلفاست في أيرلندا⁽³⁾

شكل 19: جرافيتي على الجدار العازل ببلفاست في أيرلندا⁽²⁾



¹ <http://www.aljarida.com/articles/1489947483849622300/>

² <https://www.theguardian.com/uk/gallery/2012/jan/22/belfast-peace-wall>

³ <http://m.aljarida.com/articles/1489947483849622300/>

شكل 22: جرافيتى على الجدار العازل ببلفاست فى ايرلندا(2)	شكل 21: جرافيتى على الجدار العازل ببلفاست فى ايرلندا(1)
	
شكل 24: جرافيتى على الجدار العازل ببلفاست فى ايرلندا(4)	شكل 23: جرافيتى على الجدار العازل ببلفاست فى ايرلندا(3)

ومما سبق نستطيع القول بأن الفن التشكيلي بصفة عامة وفن الجداريات بصفة خاصة هو روح التمرد والترياق والقاطرة التي تدفع بالأمل في كل اتجاه وترسم البسمة على الوجوه البائسة التي اغتالت الحرب براعتها وحيويتها، وعلى الرغم من الحصار والتقييد ومحاولات العزل وسياسات التغريب التي تنتجها الدول الكبرى والقادرة ، فإن صوت الإنسان وفرشاة الفنان أقوى من الجدران المنيعه ، وابتسامه طفل برىء قادرة على هزيمة أعلى النظم الاستبدادية ، وعلى الإنسانية أن تدرك أنها يجب أن تبنى جسور التعارف والتحاور والاتحاد وتنبذ المواجهة والجدل ومحاولات التغريب وطمس الهوية والعنف والتعصب والعنصرية ، فالأسوار لن تمنع الحياة وتقتلها ، بل لن يزول من على وجه الأرض إلا من أثر التقوقع حول نفسه، فما الزوال إلا بموت الإنسانية في القلب.

النتائج :

وفى الختام توصلت الباحثة لعدة مضامين فكرية وهى كالتالى:

1- يمكن للتصوير الجدارى إسقاط الحواجز النفسية أو الشحنات المضادة تجاه أساليب العنف والفصل العنصرى مثل (الجدار العازل بفلسطين- جدار برلين).

¹ <https://thumbs.dreamstime.com/z/belfast-peace-wall-murals-political-northern-ireland-falls-road-area-divides-unionist-republican-54940516.jpg>

² <http://stocki.typepad.com/soulsurmise/2017/01/surmising-the-wounds-of-our-sectarianism.html>

³ <http://untappedcities.com/2014/04/02/international-wall-of-art-on-belfast-peace-line-is-a-modern-day-berlin-wall/>

⁴ <http://www.ebmaryam.com/vb/t32885.html>

- 2- إسقاط الحواجز النفسية والسياسية المترتبة على إنشاء تلك الأسوار العازلة.
- 3- الفن قادر على معالجة سلبيات العنف السياسى والاجتماعى والعائدى بين فئات المجتمع الواحد و المجتمعات المختلفة.
- 4- ليس الفن بعيداً عن القضايا والمشكلات المجتمعية وخصوصا السياسية .
- 5- الأبعاد الفلسفية للمضامين الفكرية التى تكمن فى الاعمال الفنية وخصوصا اعمال التصوير الجدارى من مفردات وعناصر تشكيلية تحمل فى طياتها العديد من الثقافات البصرية التى يمكن من خلالها توعية العامة والخاصة نحو قضية معينة .
- 6- الاعمال الجدارية مدخل جيد لمواجهة العنف بكل انواعه وتعديل السلوك والعنف والعنف المضاد.
- 7- تأكيد دور الفن فى تعزيز الحريات والابتعاد عن الكبت السياسى الذى قد يظهر فى صور سلبية متعددة للعنف .
- 8- الأعمال الجدارية قادرة على تحريك وحل المشاكل السياسية وغيرها من المشاكلات والقضايا المجتمعية ودورها أيضاً.

التوصيات:

- 1- إقامة ندوات ثقافية لزيادة الوعى والتدوق الفنى لدى الجمهور بالقرب من الأعمال الجدارية (الأسوار العازلة).
- 2- لابد من فرض العقوبات الرادعة على من يتسبب بالأذى ومن تسول له نفسه بالعنف والتجبر بطرق غير شرعية.
- 3- الإهتمام بنشر مفهوم الحرية الصحيح بما يتيح فرص التعبير وأيضاً تمتع الافراد دون تجاوز حريات الاخرين بأساليب سلمية بعيدة عن العنف.
- 4- دعم الحريات وزيادة التواصل بين الفنان والجمهور وإتاحة فرص الحوار لتوضيح المضامين الفكرية التى تكمن فى العمل الفنى .
- 5- تسليط الضوء فى البرامج الإعلامية على أهمية الفن التشكلى لتصحيح المصار وإدانة العنف.
- 6- توعية الشباب بأهمية الثقافة البصرية كنوع من التعبير الحر السلمى عن الرأى بعيدا عن الاجتهاد الشخصى لتحصيل الحقوق بطريق القوة .

المراجع:

المراجع العربية:

1. اميرة حلمى مطر : 1989م، " مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفن"، دار غريب، ط3، القاهرة.

2. رمسيس يونان : 2012، "دراسات في الفن"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة
3. زكى نجيب محمود: "الشرق-الفنان"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة
4. شاکر عبد الحمید: 2001م، "التفضيل الجمالی"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنی للثقافة والفنون والأدب، الكويت، عدد 267
5. مصطفى الرزاز: 1997م، "مقدمة كتاب الحركات الفنية منذ 1945" لإدوارد سيميث، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة

المراجع الأجنبية:

6. Lois Fichner – Rathus: 2013, "Understanding Art", 10th edition, International edition, The College of New Jersey, U.S.A, P.483

البحوث والدوريات العلمية:

7. سلوى عبد الله: 1988، "دور المصمم الصناعي في الارتقاء بالذوق العام"، بحث منشور بالمؤتمر العلمی الثقافی الرابع، كلية الفنون الجميلة، جامعة المنيا، مصر، ص 758
8. شاکر عبد الحمید: 2004م، "عصر الصورة الإيجابية والسلبية"، عالم المعرفة، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، عدد (311)، الكويت، ص 13
9. فهد الطيار (2005)، "العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية"، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، صفحة 77.
10. نرمين فتحى المصرى: 2011، "الجداريات المعاصرة وتنمية الثقافة البصرية في المجتمع المصرى"، العيد المئوى لكلية الفنون الجميلة، حلوان ، مصر.

الرسائل العلمية:

أ- رسائل الدكتوراه:

11. سامى عبد الفتاح البلشى: 2006م، "الاتجاهات الفنية والفلسفية لتصوير القضايا السياسية في الفن العالمى المعاصر"، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ص 21

ب- رسائل الماجستير:

12. عماد فاروق راغب: 1995م، "الأسس البنائية في مختارات من جداريات الفن المعاصر كمدخل لإثراء اللوحة الزخرفية"، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهرة، ص 56

المواقع الإلكترونية:

13. مقال صحفى بتاريخ 19 فبراير 2017، على الرابط التالى
<http://www.noonpost.org/content/16717>
14. <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=13&lcid=38637>
15. <http://mawdoo3.com>
16. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

17. <http://www.marafea.org/sitepicture/2000000001072006.jpg>
18. <http://www.art.gov.sa/imgcache31/18191.imgcache>
19. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
20. <http://banksy.co.uk>
21. <http://banksy.co.uk>
22. <https://www.babonej.com/data/uploads/images/xapartheid-laila-khaled.jpg.pagespeed.ic.N2MeXkb0LI.jpg>
23. <http://www.traidnt.net/vb/images/imgcache/2009/10/2709.jpg>
24. <http://www.alquds.com/articles/1489393380273907700/>
25. <http://www.al-ayyam.ps/files/image/thumb/20170501083349.jpg>
26. <https://www.alaraby.co.uk/culture>
27. <http://www.farfesh.com/Display.asp?catID=119&mainCatID=117&sID=166718>
28. <http://hadarat.ahram.org.eg/>
29. http://www.trekearth.com/gallery/Europe/Germany/East/Berlin/West_Berlin/photo1058329.htm
30. http://www.ppp.ps/ar_page.php?id=13a56f2y20600562Y13a56f2
31. <http://www.noonpost.org/content/16717>
32. <http://www.gulfeyes.net/art/1340914.html>
33. <http://www.aljarida.com/articles/1489947483849622300/>
34. <http://m.aljarida.com/articles/1489947483849622300/>
35. <https://thumbs.dreamstime.com/z/belfast-peace-wall-murals-political-northern-ireland-falls-road-area-divides-unionist-republican-54940516.jpg>
36. <http://www.ebnmaryam.com/vb/t32885.html>
37. <http://www.albayan.ae/paths/books/2010-06-12-1.254440>
38. مقال صحفي بتاريخ 2008/4/4، على الرابط التالي :
http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat
39. <https://www.theguardian.com/uk/gallery/2012/jan/22/belfast-peace-wall>
40. http://www.demuthphoto.com/blog/wp-content/uploads/2013/11/berlin_281013_145.jpg
41. <http://untappedcities.com/2014/04/02/international-wall-of-art-on-belfast-peace-line-is-a-modern-day-berlin-wall/>
42. <http://abunawaf.com/wp-content/uploads/2014/11/%D8%AC%D8%AF%D8%A7%D8%B1-https://thumbs.dreamstime.com/z/berlin-wall-east-side-gallery-graffiti-germany-street-art-paintings-called-line-km-long-section-berliner-mauer-55412168.jp>
43. <http://stocki.typepad.com/soulsurmise/2017/01/surmising-the-wounds-of-our-sectarianism.html>